وليس ثمة شك فى أن البناء لا تكتمل صورته إلا من خلال تمام المستويَيْن ؛ إذ أن الجمال يتطلب النقش والزخرف بناء على الأساس الذى أقيم له أصلا ، وعلى هذا لا نجد مبررا لتلك الضجة الكبرى التى تبنّاها النقاد حول الموازنة بين شعر الطائيَيْن أبى تمام والبحترى ، والتى عرض لها الدكتور مندور فى النقد المنهجى فوصفها فى حجمها الطبيعى قائلا « وأما شعر كشعر أبى تمام والبحترى الذى نسميه بالكلاسيكى الجديد فمن البينُ أن العلاقة فيه واهية، وإنما هى معانٍ تقليدية يصوغانها صياغة جديدة ، والذى حدث أن مسألة السرقات لم تنشط إلا حولهما ، ولهذا جاء البحث عن أصالتهما لا يكاد يتصور وإن تُصوِّر لم يكن من السهل إدراكه »[1] .

ومن هنا كانت النظرة الموضوعية عنده منتهية عند افتعال ذلك المعترك الذى لم يأت من التقيُّد بالأصول الفنية للقصيدة القديمة ، ولا من الأخذ من نفس الموضوعات التى أخذ فيها الجاهليون ومَنْ بعدهم ، فكلها موضوعات إنسانية شغلت الشعراء منذ الأزل وستشغلهم إلى الأبد وإنما أتتهم من تقيدهم بالتفاصيل[2] .

وحتى فى تقيدهم بتلك التفاصيل - إذا سلّمنا بهذا القول - لم يقفوا عاجزين عن إبراز محاولاتهم الإبداعية فى كثير من الأحيان فقد ظل القديم يمثل نقطة البدء الأولى التى على أساسها يتم البناء ، وعليها يسجل بعد ذلك تجدُّد الحياة الإنسانية ومقاييس حيوية الحركة الأدبية وتطورها .

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ٣٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ٣٧٠ .